تداعيات الحرب البونيقية الثّانية على إسبانيا 206-33 ق.م

د./ سايح مرزوق أحمد

أستاذ مساعد ب/ جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة

a.saiah-merzouk@univ-dbkm.dz

الملخص:

تعتبر الحرب البونيقية الثانية 218-202 ق.م، أقوى حروب الفترة القديمة، لما خلفته من نتائج وانعكاسات ليس على طرفي الحرب فقط أي روما وقرطاجة، بل على كامل مناطق الحوض الغربي للبحر الأبيض المتوسط، ونخص بالذكر اسبانيا أو شبه الجزيرة الإيبيرية التي شهدت ثورات واضطرابات دامت لفترة طويلة جدا، تتمحور أساسا حول نهاية الوجود القرطاجي الذي سيطر على المنطقة طويلا دون اضطرابات تذكر، إلاّ أن وصول الرومان ومحاولات احتلالها منذ عام 206 ق.م، دفع الإسبان إلى رفض الوجود الروماني وسياسته الرامية إلى الرومنة، وهذا الرفض ترجمه الإسبان في عدة ثورات كبدت روما خسائر مادية وبشرية ضخمة قبل أن تحكم سيطرتها الكاملة على المنطقة.

سأحاول في هذه الورقة البحثية إبراز أهم التطورات السياسية والعسكرية التي شهدتها اسبانيا خلال الفترة الممتدة من 206 إلى 33 ق.م.

الكلمات المفتاحية: الحرب البونيقية؛ روما؛ قرطاجة؛ اسبانيا؛ نيمانس؛ فيرياتوس؛ تيتوس ليفيوس.

Abstact:

The Second Punic War was the most powerful war of the ancient period, ending with results on both sides of the war, Rome, Carthagia, and all regions of the western Mediterranean Basin, particularly the Iberia Peninsula, wich had know developments and unrest for a long time, after the end of the war In favour of Rome, which roamed Spain and the Spanish.

In the paper, I will try to highlight the most important political and military developments that Spain experienced during the period from 206 to 33 BC.

Keys Words: The Punic War – Rome – Carthage – Spain – Nemans.

مقدمة:

اندلعت المواجهة العسكرية الثانية بين روما وقرطاجة عام 218 ق.م بعد حصار القائد القرطاجي حنبعل لمدينة ساغونتوم الواقعة ضمن الأراضي القرطاجية جنوب نهر الإيبيرو، وهي الحرب التي اشتملت على ثلاث جبهات هي إيطاليا، شمال إفريقيا، إسبانيا، هذه الأخيرة التي شكلت مجالا حيويا لطرفي الحرب نظرا لما تحتويه من ثروات هائلة على غرار مناجم المعادن، وكانت قرطاجة قد سيطرت عليها منذ عام 237 ق.م ونظرا لنشوب الحرب سخرت روما إمكانيات مادية وبشرية كبيرة للظفر بها وهو ما تم لها فعلا منذ عام 206 ق.م بعد إنهاء السيطرة القرطاجية، إلا أن الشعوب الاسبانية رفضت الوجود الروماني بعد نهاية الحرب البونيقية الثانية عن طريق خلق مجموعة من الثورات والتمردات ضد الاجراءات السياسية والعسكرية التي استحدثتها روما بالمنطقة، فما مظاهر ذلك؟ وإلى أي مدى تمكنت روما من إحكام قبضتها الشاملة على اسبانيا؟.

1- اسبانيا ووضعها خلال الحرب البونيقية الثانية:

اسبانيا القديمة هي المنطقة الواقعة أقصى غرب أوربا، تتميز بتحصينها طبيعيا بحيث يحدها شمالا جبال البيرينيه التي تفصلها عن الأراضي الفرنسية /بلاد الغال/، بينما محاطة بالبحر الأبيض المتوسط شمالا وجنوبا، والمحيط الأطلسي من الجهة الغربية والجنوب الغربي، وتمتد البلاد طوليا من رأس روكا إلى رأس كروكس على مسافة 1056 كيلومتر بينما متوسط عرض البلاد فيقدر بحوالي 744 كيلومتر أي بمساحة مقدرة بـ 582 ألف كيلومتر مربع[1]. يصف أبيانوس اسبانيا القديمة بالأرض الغنية والمليئة بالثروات والخيرات، كما أن سكانها هم الإيبيريون، أول من قام باستغلال ثرواتها هم القرطاجيون وبشكل خاص مناجم المعادن، يليهم الرومان الذين شغلوا المناطق القرطاجية كما قاموا بتوسيع نفوذهم على مناطق أخرى بعد فترة طويلة من الانتفاضات المحلية[2].

لما وصل الفينيقيون وبعدهم خلفاؤهم القرطاجيون إلى اسبانيا أطلقوا عليها تسمية سبانيجا Spanijah والتي تعني أرض الأرانب[3]، والأمر المميز للوجود القرطاجي بها هو الصلابة في الحكم والتعايش مع سكانها دون مشاكل تذكر، وقد جعلوا من مدينة قرطاجنة

1 L'Abbé Théod Perrin, Histoire d'Espagne, éd. Société reproductive des bons livres, Paris 1838, p 1.
2 Appien, Ibérique, I, 3, Trad. Par J.J. Combes-Dounous, éd. Imprimerie des frères Mame, Paris 1808.
3 Victor Du Hamel, Histoire d'Espagne, éd. Tours, Paris 1855, p 1.

الجديدة Carthago Nova مركزهم الرئيسي، في القسم الجنوبي من شبه الجزيرة وشكلوا من سكانها جيشهم الذي حاربوا به خلال الحرب الثانية ضد روما[1].

وعليه فإن توسع قرطاجة على حساب اسبانيا كتيجة لانهزامها في الحرب الأولى ساعدها على إعادة بعث قوتها العسكرية والإقتصادية، وهو الأمر الذي أقلق مجلس الشيوخ في روما الذي بدأ يحيك المؤامرات ضد قرطاجة ويشحن القادة العسكريين لإثارة حرب ضدها لتحقيق هدفين رئيسيين أولا إضعاف قرطاجة عسكريا واقتصاديا، وثانيا طرد قرطاجة من اسبانيا والاستحواذ على ثرواتها، باعتبارهما أهم سببين للحرب الثانية بين روما وقرطاجة، فاتخذت من حصار حنبعل –القائد القرطاجي– لمدينة ساغنتوم الواقعة ضمن الأراضي الاسبانية ذريعة واهية لإعلان الحرب عام 218 ق.م.

وقعت كل من روما وقرطاجة معاهدة سلام عام 226 ق.م نصت على حدود السيطرة بينهما في اسبانيا، فاتفقا على اعتبار نهر الإيبيرو حدا طبيعيا بحيث أصبحت الأراضي جنوب النهر تابعة لقرطاجة بينما الأراضي الرومانية شماله[2]، ولما اعتلى حنبعل قيادة الجيوش القرطاجية بإسبانيا عام 221 ق.م[3]، عمل على تحين فرصة مهاجمة روما برا عبر جبال البيرينيه والألب، وبذلك يعد حصار مدينة ساغنتوم[4] من طرف حنبعل عام 219 ق.م السبب المباشر لإعلان روما الحرب الثانية ضد قرطاجة[5]، رغم أن المدينة واقعة جنوب نهر الإيبيرو وبالتالي ضمن الاراضي القرطاجية حسب نص المعاهدة السالفة الذكر، وعليه فإن روما هي المتسبب الرئيسي في قيام هذه الحرب التي استمرت فترة طويلة من 218 إلى 202 ق.م، في ثلاث جبهات هي إيطاليا، شمال إفريقيا وإسبانيا.

---

1 Don Rafael Altamira Y Crevea, Histoire d'Espagne, 3° éditio, éd. Libraire Armand Colin, Paris 1956, pp 16,17.

2 أحمد سايح مرزوق، تداعيات الحرب الرومانية–القرطاجية الثانية على الحوض الغربي للمتوسط، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة، 2021/2020، ص.ص 25،26.

3 اصطيفان اكصيل، تاريخ شمال افريقيا القديم، ج3، ترجمة محمد التازي سعود، مطبوعات الأكاديمية المغربية، الرباط 2007، ص 118.

4 مدينة ساغنتوم هي المدينة المعروفة اليوم باسم مورفييدو Murviedo، الواقعة شمال نهر سكرو Sucro وجنوب نهر الإيبيرو.

5 إبراهيم رزق الله أيوب، التاريخ الروماني، ط1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان 1996، ص 153.

ففي الجبهة الاسبانية التي غادرها حنبعل عام 218 ق.م متجها صوب إيطاليا تاركا تسيير شؤونها العسكرية لأخوه الأصغر، فسح المجال للرومان للإغارة عليها مستغلة غياب حنبعل، فاحتلوا تراكو Tarraco عام 217 ق.م، وبعد سنوات من الحملة احتلوا مدينة قرطاجنة الجديدة عام 209 ق.م، بينما أهم توسع حققته روما هو إنشاء مستعمرة إيتاليكا Italica عام 206 ق.م[1]، والتي كانت البداية لنهاية الوجود القرطاجي بإسبانيا وبداية الاحتلال الروماني.

وعليه فإن الحملة الرومانية ضد اسبانيا انطلقت خلال الحرب الثانية ضد قرطاجة، إلا أنها كانت طويلة جدا دامت حوالي قرنين من الزمن، وذلك نتيجة الرفض الاسباني للوجود الروماني وسياسته الرامية إلى الرومنة[2] كما سيرد لاحقا.

2- تقسيم الرومان لإسبانيا بعد نهاية الحرب الثانية عام 197 ق.م:

تمكنت روما من تحقيق هدفها الرامي إلى إنهاء الوجود القرطاجي بإسبانيا قبل نهاية الحرب وذلك عام 206 ق.م، ولم تتوقف عند هذا الحد فحسب بل عملت على الاستيلاء على مواردها لا سيما مناجم المعادن[3]، ولتسهيل عملية الاستغلال قسمت اسبانيا المحتلة عام 197ق.م إلى مقاطعتين هما إسبانيا القاصية Espagne Ultérieur وإسبانيا الدانية Espagne Citérieur، وإسناد تسيير شؤونهما إلى حاكمين يعينهما مجلس الشيوخ في روما، وأول من تولى هذه المهمة سومبرونيوس تيديتانوس Sempronius Tiditanus في اسبانيا القاصية وماركوس هيلفيوس Marcus Helvius على رأس إسبانيا الدانية[4].

ويشير أبيانوس إلى أن الحاكمين اللذين أسندت لهما مهمة تسيير شؤون المقاطعتين في اسبانيا، كلفا كذلك بمهمة إضافية وهي القيادة العسكرية خاصة في ظل عدم استقرار الوضع بالمنطقة نظرا لكثرة الثورات والتمردات[5]، وبتعيين الحاكمين على اسبانيا يزداد عدد

1 Marie José Pena, Conquête et colonisation dans la péninsule Ibérique pendant le IIe siècle av. j-c, In : De la terre au ciel, paysage et cadastres antique, stage international Besançon 29-31 mars 1993, Université de France, p 247.

2 Leon Homo, Nouvelle Histoire Romaine, éd. Libraire Artémie Fayard, Paris 1945, p 135.

3 إبراهيم نصحي، تاريخ الرومان، ج1، منشورات الجامعة الليبية، ط2، ليبيا 1978، ص. 323.

4 Francois Cadiou et Pierre Moret, Rome et la frontière Hispanique à l'époque républicaine II-I siècle av. j-c, communication au colloque international ''Empires et états nationaux en méditerranée : la frontière, 2004, Université Toulouse, p 1.

5 Appien, Ibérique, VIII, 39.

الحكام الرومان من أربعة لصبح ستة حكام[1]، وتم اعتماد نظام إداري في المقاطعتين على النمط المعتمد في تسيير كل من جزيرتي صقلية وسردينيا، مع منح الحاكمين رتبة بروقنصل مع جعل حدود فاصلة بينهما[2].

خريطة تقسيم إسبانيا إلى مقاطعتين الدانية والقاصية عام 197 ق.م

المرجع: Yannick Clavé, le monde romaine VIII siécle av. j-c/ VI siecle ap. j-c, éd. Armond Colin, Paris 2017, p 420.

3-ردود الفعل الاسبانية الأولى ضد الاحتلال الروماني:

اعتقد الرومان أنهم تمكنوا من اسبانيا بإنهاء الوجود القرطاجي وبسط سيطرتهم عليها بتقسيمها عام 197 ق.م، لكن الواقع عكس ذلك حيث اندلعت عدة تمردات وثورات في مناطق عدة من اسبانيا ردا على السياسة الرومانية الرامية إلى الرومنة، بقيادة رؤساء القبائل المحلية منذ عام 197 ق.م[3]، للدفاع عن أراضيهم وحضارتهم حيث استمرت المقاومة قرنين من الزمن، من مطلع القرن الثاني إلى نهاية القرن الأول ق.م[4].

استغل الاسبان انشغال الرومان بحروبهم في شرق المتوسط للثورة وطردهم من أراضيهم فأشعلوا فتيل ثورات طاحنة[5]، ممّا أضعف من عزيمة الضباط الرومان الذين

1 إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص. 323.

2 Mommsen Théodor, Histoire Romaine, tome III, trad. Par De Guerle, éd. C. Marpon et E. Flammarion, Paris 1882, p 104.

3 إبراهيم نصحي، المرجع السابق، ص 323.

4 Don Rafael Altamira Y Crevea, op. cit, p 18.

5 Appien, Ibérique, VIII, 39.

اعتبروا إرسالهم لقيادة الجيوش في اسبانيا بمثابة انتحار لهم[1]، وباندلاع أولى الثورات أرسلت روما نحو اسبانيا عدة قادة عسكريين نذكر منهم سمبرونيوس تيديتانوس Sempronius Tiditanus، ماركوس هيلفيوس Marcus Helvius، مينيسيوس Minicius بهدف القضاء عليها[2]، لكن محالولات الثلاثة باءت بالفشل ويعود ذلك إلى التحام القبائل تحت قيادة واحدة[3].

ونظرا لتوسع حركة التمر في اسبانيا قرر مجلس الشيوخ إرسال القنصل ماركيوس بوركيوس كاتون Marcius Porcius Caton بقوة أكبر تحملها 26 باخرة حربية وذلك عام 195ق.م[4]، ولما وصل إلى إسبانيا نزل بمنطقة أمبوريا فجمع الإسبان جيشا بلغ عدده أربعون ألف رجل[5]، وقبل المواجهة صرح كاتون لجنوده قائلا: "الشجاعة هي القيمة الوحيدة التي تعتمدون عليها"[6]، وتمكن كاتون من تحقيق الانتصار في هذه المواجهة[7].

بعد انتصار كاتون عاد إلى روما وعين مجلس الشيوخ بول إميل Paul Emile خليفة له في قيادة الجيوش المتواجدة بإسبانيا، والذي أطال الحرب ضد الإسبان مدة خمس سنوات بين عامي 195 و490 ق.م، لكنه تكبد خسائر بشرية فادحة بلغت 6000 من رجاله، فتم تغييره بالقنصل تيبيريوس سمبرونيوس غراكوس Tibirius Sempronius Gracchus، هذا الأخير حقق انتصارات خاصة عام 179 ق.م[8].

نستخلص من خلال الحملات الأولى لروما الهادفة إلى القضاء على المقاومة الاسبانية، مدى فشلها أمام رغبة الاسبان في طرد هذا الدخيل الأجنبي بل ورفض وجوده، مقارنة بقبولهم سابقا للوجود القرطاجي وتعايشهم مع القرطاجيين في سلام، وبذلك تستمر المقاومة بأكثر شراسة وبشكل خاص ثورة فيرياتوس مقاومة مدينة نيمانس.

1 Maurice Fontane, Histoire Universelle Rome de 74 a 63 av. j-c, éd. Alphonse Lemerre, Paris 1910, p 288.
2 Appien, Ibérique, VIII, 39.
3 Don Rafael Altamira Y Crevea, op. cit, p 21.
4 Tite-Live, Histoire Romaine, XXXIV, 8, Trad. Par Annete Flobert, éd. Flamarion, Paris 1997.
5 Appien, Ibérique, VIII, 40.
6 Tite-Live, Histoire Romaine, XXXIV, 14.
7 Ettore Pais, Histoire Romaine, Tome I, des origines a l'achevement de la conquete 133 av. j-c, éd. P.U.F, Paris 1940, p 575.
8 Marius Fontane, op. cit, p 290.

4- ثورة فيرياتوس Viriatus 147-139 ق.م:

فيرياتوس شخصية اسبانية ينمتي إلى قبائل الليزيتانيين، بدأ حياته بالصيد والرعي يعتبر من الناجين القلائل من الإبادة الرومانية التي قادها غالبا Galba، تميز بذكاء حاد وقوة جسدية ومعرفة كبيرة تضاريس البلاد[1]، ويذكر ديودور الصقلي أن فيرياتوس عاش على ساحل المحيط في بيئة جبلية قاسية مما ساهم في تكوين شخصيته القوية التي جعلت منه قائدا لليزيتانيين[2]. ونظرا لحقده الدفين تجاه الرومان عمل على الثأر لشعبه، فقاد ثورة عارمة حقّق فيها انتصارات وكبد الرومان خسائر مادية وبشرية[3].

ساهمت مجازر الرومان في تكوين فيرياتوس لجيش قوي رغبة منه في نيل الحرية، وجعل من الجبال قاعدة خلفية له وحارب الرومان مدة ثماني سنوات[4]، حيث جمع عشرة الاف رجل وواجه أوّل الأمر غايوس فيتيلوس Gaius Vetelus، وحقق نصرا كبيرا لجأ بعدها إلى مدينة تريبولا Tribola وهي المدينة المحصنة طبيعيا مما صعب على الرومان تقفي أثره[5].

وأصل فيرياتوس في تحقيق الانتصارات ضد روما فتمكن من استعادة ليزيتانيا أي البرتغال حاليا وهزم حكام المقاطعتين[6]، وهو ما دفع مجلس شيوخ روما غلى إرسال تعزيزات تعزيزات عسكرية أخرى بقيادة فابيوس ماكسيموس أيميليانوس بولوس Fabius Maximus Aemilius Paulus، وأعطي له الإذن بتجنيد الجنود عام 146 ق.م فوصل إلى اورزو Orsoعلى رأس جيش قوامه 15000 من المشاة و2000 فارس، وحقق انتصار بسيط ضد فيرياتوس لكنه لم يقضي على ثورته[7]، خاصة وأن هذا الأخير تمكن من إعادة بناء صفوفه استعدادا لمواجهات أخرى[8].

خلف أيميليانوس في قيادة الجيش بإسبانيا أخوه فابيوس ماكسيموس سرفيليانوس Fabius Maximus Servilianus الذي جلب جيشا اخر يتكوّن من 18000 من المشاة و1600

1 Mousset A, Histoire d'Espagne, éd. Société d'éditions Françaises et internationales, Paris 1947, p 30.
2 Diodore de Sicile, Bibliothéque Historique, XXXIII, Trad. Par Fred Hoefer, deuxieme édition, éd. Hachette, Paris 1865.
3 Gabriel Sommet, Récits de l'histoire d'Espagne depuis les temps anciens jusqu'à nos jours, éd. Ducroco, P aris 1865, p 34.
4 Simont J.F, Résumé de l'histoire d'Espagne, éd. A. Leroux, Paris 1823, p 22.
5 Appien, Ibérique, XI, 61-62.
6 Mousset A, op. cit, p 30.
7 Appien, Ibérique, XI, 65.
8 Diodore de Sicile, XXXIII.

فارس، وقد طالت المواجهات بينه وبين فيرياتوس دون ترجيح الكفة لأحدهما، ونظرا لطول القتال طالبت روما الصلح معه والذي أبرم عام 141 ق.م بشروط تخدم فيرياتوس[1]، وهي المعاهدة التي يعتبرها ديودور الصقلي مخزية للرومان ومشرفة لفيرياتوس[2].

استأنفت المواجهة ضد فيرياتوس بعد نقض الرومان للمعاهدة الموقعة معه بعد عام 139ق.م، لكن القوات الرومانية فشلت لمرات أخرى في القضاء على ثورة فيرياتوس، ورغم ذلك حاول هذا الأخير تجنب خسائر بشرية في صفوفه عندما أرسل وفدا للتفاوض مع كايبيو قائد الجيش الروماني، وتكون الوفد من أوداكس Audax، ديتالكو Ditalco، مينيروس Minurus لطلب السلم[3]، لكن كايبيو قابل طلب السلم بالمكر والخديعة أين تفاوض سرا مع مبعوثي فيرياتوس وأغراهم بالهدايا مقابل اغتيال قائدهم[4]، فوافقوا على ذلك ولدى عودتهم سمح لهم فيرياتوس بدخول خيمته فقتلوه عام 139 ق.م[5].

بعد هذا الاغتيال الجبان طالب قاتلوه من كايبيو المكافأة إلا أن مجلس الشيوخ الروماني رفض مكافأتهم باعتبار أن القانون الروماني لا يكافئ من قتل قائده[6]، وبموت فيرياتوس تشتت جيشه وتلاشت مقاومته التي استمرت لفترة طويلة، تمكن خلالها من تحقيق الانتصار وتكبيد الرومان خسائر فادحة وفتح ذلك الباب لروما لبداية الاستيطان[7].

لا شكّ أنّ مقتل فيرياتوس أفشل المقاومة في اسبانيا ضد الرومان وسياستهم، إلا أنها لم تنتهي نهائيا بل تواصلت في محاولة للثأر من مقتل فيرياتوس وخاصة مقاومة مدينة نيمانس البطولية.

5- مقاومة النيمانتيين 143-133 ق.م:

تقع مدينة نيمانس في منطقة من الهضاب العارية ذات المناخ القاسي بارتفاع 110 متر عن سطح البحر، توجد بين نهرين هما نهري دييرو Duero غربا ونهر ميردانشو Merdancho جنوبا[8]، وحسب أبيان فهي مدينة محصنة طبيعيا لذلك كان من الصعب

1 Lucien Renard, Histoire d'Espagne, éd. Furne Libraire, Paris 1855, p 28.
2 Diodore de Sicile, XXXIII.
3 Appien, XII, 74.
4 M de Boissi, op. cit, p 95.
5 Appien, XII, 74.
6 Mousset A, op.cit, 31.
7 Appien, XII, 75.
8 Gsell S, la ville Ibérique de Numance, In : journal des savants, juillet 1931, p 292.

الوصول إليها، فهي محاطة بنهرين وأودية مغطاة بغابات كثيفة ولا يوصل غليها إلا طريق واحد تم غلقه بالخنادق والحواجز[1].

أما عن تعداد سكان مدينة نيمانس فيطلعنا فاليوس باتركيلوس أنهم لم يتجاوزوا العشرة الاف نسمة، ويضيف أنهم كانوا مسالمين ولا يملك منهم السلاح لا القليل لكنهم قاومو أقوى القادة الرومان بفضل شجاعتهم[2]، وقد برز ظهورهم بعد القضاء على فيرياتوس حيث عمل النيمانتيون على الثأر لمقتله[3].

طالت الحرب الرومانية ضد نيمانس لأكثر من عشر سنوات تكبد فيها الرومان خسائر مادية وبشرية، وأطلوا على هذه الحرب اسم حرب النار خاصة وأن المعارك كانت تستمر ولا تتوقف[4]، بدأت الحرب لما تسلم كانتوس بومبيوس أولوس Quintus Pompeius Aulus قيادة الجيوش الرومانية باسبانيا[5]، والذي كان يتكون من 30.000 مشاة وألفي فارس[6]، فارس[6]، بينما جيش نيمانس لا يتعدى الثمانية الاف رجل يقودهم مغارافيكوس[7]، حقق بومبي بومبي في البداية بعض الانتصارات في مناوشات أولية، سرعان ما رد النيمانتيون عليها بانتصار ساحق رغم عدم تكافوء القوى عن طريق اتباع استراتيجية حرب العصابات فأرغموا بومبيوس على توقيع معاهدة سلام[8].

وبسبب هزيمة بومبيوس قرر مجلس الشيوخ استخلافه بماركوس بوبيليوس لاييناMarcus Popillius Laena، هذا الأخير نقض المعاهدة فهاجم قبائل الليزونيين جيرن النيمانتين دون تحقيق أي نتيجة تذكر، كما تم هزيمته في مواقع عدة من طرف النيمانتيين وهو ما أرغم مجلس الشيوخ مرة أخرى على تنحيته وتعيين كايوس أوستيليوس مانسينوس Caius Hostilius Mancinus عام 137 ق.م على رأس جيش تعداده عشرون ألف جندي[9]، جندي[9]، إلاّ أنّ إصرار النيمانتيين على الانتصار أرضخت مانسينوس على توقيع معاهدة سلام أخرى مخزية للرومان[10].

1 Appien, XIII, 76.
2 Valleius Patercullus, Histoire Romaine, II, I, trad. Par Pierre Hainsselin et Henri Watalet, éd. Garnier, Paris.
3 Russie, op. cit, p 17.
4 Don Rafael Altamira Y Crevea, op. cit, p 22.
5 Paris Piere, Promenades archéologique en Espagne –Numance-, in : B-H, tome 11, n° 03, 1909, p 230.
6 Appien, XIII, 76.
7 Florus, II, XVIII.
8 Paris Piere, op. cit, p 230.
9 Russie, op. cit, p 17.
10 Appien, XIII, 80.

تواصلت هزائم روما مع تعيين عدة قناصل ونقض المعاهدات، إلى أن تم تعيين القنصل الذي حطم قرطاجة عام 146 ق.م وهو كورنيليوس سكيبيون أفريكانوس أيميليانوس Cornelius Scipion Africanus Aemilianus[1]، والذي اعتبرته روما المنقذ الوحيد لها من هذا المأزق[2].

وصل سكسبيون إلى حدود مدينة نيمانس على رأس قوة كبيرة قدرت بستين الف رجل، مدعم بفرسان نوميديين يقودهم يوغرطة[3]، وتمثلت خطته في البداية بتطهير المعسكر الروماني أين قام بإخراج جميع التجار والبغايا ورجال الدين والكهنة، واكتفى داخل المعسكر بالضروريات فقط بهدف صرف اهتمام الجنود نحو القضا على المدينة[4]، ورغم اتمامه للتحضيرات العسكرية لم يهاجم نيمانس مباشرة، بل فرض عليها حصارا شاملا[5]، وهذا يعود لخوفه من غضب النيمانتيين الذي قد يؤدي به إلى الهزيمة واحتمال وصول الدعم لنيمانس من طرف القبائل المجاورة لها[6]. رغم انضمام يوغورطة إلى سكيبيون قادما من نوميديا والذي والذي أرسله الملك مكيبسا، ووضع تحت قيادته جيشا هاما متكون من الرماة والقاذفين والفرسان فضلا عن اثنى عشر فيلا[7].

من خلال اطلاعنا على العدد الكبير الذي يتكون منه جيش سكيبيون والبالغ ستون ألف رجل، وهو عدد كبير مقارنة بسكان مدينة نيمانس المقدر بعشرة الاف نسمة فقط بين النساء والرجال والأطفال، نستنتج أن الجيوش الرومانية التي حاربت في اسبانيا كانت تفتقد للشجاعة فكيف لقادة هذه الجيوش أن تسعد بوصول الدعم من مملكة نوميديا وعلى رأسهم سكيبيون الذي سعد بوصول يوغورطة في حصار نيمانس، ما يؤكد كذلك الدور الكبير الذي لعبه الفرسان النوميديين في مختلف الحروب القديمة عامة وحصار نيمانس خاصة.

نفذ سكسبيون حصارا شديدا على المدينة من كل الجهات فأدخل المدينة في نفق مظلم لكن النيمانتين لم يستسلموا، فحاول جنودهم مرار التسلسل خارج المدينة لطلب الدعم

1 M de Boissi, op. cit, p 101.
2 Don Rafael Altamira Y Crevea, op. cit, p 22.
3 Mousset A, op. cit, p 31.
4 Appien, XIV, 85.
5 Maurice Legendre, p 37.
6 Paris Pierre, op. cit, p 236.
7- غايوس كريبوس سالوستيوس، حرب يوغرطة، VII، ترجمة محمد العربي عقون، دار الهدى، عين مليلة – الجزائر 2006.

بالنجاح أحيانا والفشل أحيانا أخرى[1]، ولما اشتد الحصار قرر النيمانتيون التفاوض مع سكيبيون بإرسال وفد لغرض ذلك بقيادة أفاروس Avaros، لكن سكيبيون فرض عليهم شروط قاسية منها تسليم السكان لأسلحتهم وتسليم المدينة له، وهي الشروط التي رفضها السكان وقرروا مواصلة المقاومة على النجاة بالاذلال طوال ثمانية أشهر[2].

حاول سكان نيمانس القيام باخر محاولة لفك الحصار وذلك عن طريق الخروج من الاسوار وشن هجوم على المحاصرين، لكنهم فشلوا في ذلك امام الأعداد الهائلة للجنود الرومان[3]، فقرروا إضرام النيران في المدينة وانتحر أغلبية السكان هروبا من جحيم الوقوع كأسرى حرب لدى سكيبيون وذلك عام 133 ق.م[4]، ويصف لنا أبيانوس المشهد الأخير للناجين القلائل حيث خرجوا من المدينة في وضعية كارثية شعورهم طويلة وأجسادهم متسخة وهزيلة نتيجة الجوع والأمراض[5].

بعد تحطيم المدينة أرسل مجلس الشيوخ الروماني وفدا إلى نيمانس يتكون من عشرة أعضاء، بهدف توزيع الأراضي على الرومان وسن القوانين المنظمة والمسيرة للمدينة مع فرض الضرائب على الأهالي[6].

سقطت مدينة نيمانس في أيدي الرومان عام 133 ق.م لتكون بذلك اخر المدن التي صمدت في وجه الاحتلال، وبسقوطها سقطت بقية المدن وتمكنت روما من بسط سيطرة كاملة على شبه جزيرة ايبيريا[7]، وأبقت المنطقة على نفس التقسيم الذي حدث عام 197 ق.م إلى غاية حكم أكتافيوس، هذا الأخير أعاد تقسيمها إلى ثلاث مقاطعات هي بيتيك Bétique، طراغون Taragonaise وليزيتانيا Lusitanie[8].

ونشير في الأخير إلى عودة الاضطرابات إلى اسبانيا خلال الحرب الاهلية بين ماريوس وسيلا، حيث فر أنصار ماريوس نحو اسبانيا على رأسهم كانتوس سرتوريوس Quintus Sertorius، الذي قام بإثارة الأهالي ضد روما فقاد ثورة عارمة بين عامي 76 –

1 M de Boissi, op. cit, 102.
2 Appien, XV, 95.
3 M de Boissi, op. cit, p 103.
4 Simont J-F, op.cit, p 24.
5 Appien, XV, 97,98.
6 Gonzales Antonio, Guerre diplomatie et droit de la guerre dans la péninsule Ibérique au II siècle av. j-c, In : D.H.A, vol. 33 n° 01, 2007, p 111.
7 M.L.G, précis de l'histoire d'Espagne depuis les temps les plus reculés jusqu'à commencement de la révolution actuelle, tome I, éd. Fanjat Ainé, Paris 1823, p 106.
8 Russie, op. cit, p 18.

71ق.م[1]، وهو ما أقلق القادة الرومان التي توالت هزائمهم أمام عزم الأهالي تحقيق النصر[2]، النصر[2]، ولم تتمكن من روما إلا عن طريق الاغتيال كما حدث مع فيرياتوس ويوغرطة، حيث قام احد الضباط المقربين منه وهو بربينا Perpina باغتياله بمدينة أوسكا بأمر من القنصل بومبي[3]، لتنتهي بذلك فصول المقاومة الاسبانية التي أقلقت الرومان طوال قرنين من من الزمن.

الخاتمة:

من خلال ما تقدم يمكن استخلاص جملة من الاستنتاجات التي أوجزها في النقاط التالية:

- أن الحرب الرومانية–القرطاجية الثانية أثرت تأثيرا بليغا في شبه الجزيرة الإيبيرية حيث عرضتهما إلى احتلال روماني دام طويلا.
- رغم انتصار روما في اسبانيا ضد قرطاجة إلا أن ذلك لم يدم طويلا حتى برزت مظاهر الرفض الاسباني للرومان، والذي ترجم في العديد من الثورات والتّمرّدات التي أرضخت أقوى قادة روما.
- بينت لنا هذه الثورات الفرق بين الوجود القرطاجي والروماني بشبه الجزيرة، فالأول تعايش معه السكان في سلام بينما الثاني تمّ رفضه ومقاومته.
- اتبعت روما في اسبانيا نفس الأساليب والطرق المتبعة في المناطق المحتلة من الحوض الغربي للمتوسط وبشكل خاص سياسة الرومنة.

1 Plutarque, Les Vie des homme illustres (Sertorius), II, trad. Ricard, éd. Didier, Paris 1844.
2 Florus, III, XXIII.
3 Appien, XVI, 101.

البيبليوغرافيا:

– أحمد سايح مرزوق، تداعيات الحرب الرومانية–القرطاجية الثانية على الحوض الغربي للمتوسط، أطروحة دكتوراه، جامعة الجيلالي بونعامة – خميس مليانة، 2021/2020.

– اصطيفان اكصيل، تاريخ شمال افريقيا القديم، ج. 3، ترجمة محمد التازي سعود، مطبوعات الأكاديمية المغربية، الرباط، 2007.

– رزق الله أيوب إبراهيم، التاريخ الروماني، ط. 1، الشركة العالمية للكتاب، لبنان، 1996.

– غايوس كريبوس سالوستيوس، حرب يوغرطة، VII، ترجمة: محمد العربي عقون، دار الهدى، عين مليلة، الجزائر، 2006.

– نصحي إبراهيم، تاريخ الرومان، ج. 1، منشورات الجامعة الليبية، ط. 2، ليبيا، 1978.

- Appien, Ibérique, I, 3, Trad. Par J.J. Combes-Dounous, éd. Imprimerie des frères Mame, Paris, 1808.

- Diodore de Sicile, Bibliothéque Historique, XXXIII, Trad. Par Fred Hoefer, deuxieme édition, éd. Hachette, Paris 1865.

- Don Rafael Altamira Y Crevea, Histoire d'Espagne, 3° édition, éd. Libraire Armand Colin, Paris 1956.

- Ettore Pais, Histoire Romaine, Tome I, des origines a l'achevement de la conquête 133 av. j-c, éd. P.U.F, Paris 1940.

- Florus, II, XVIII.

- Francois Cadiou et Pierre Moret, Rome et la frontière Hispanique à l'époque - républicaine II-I siècle av. j-c, communication au colloque international «Empires et états nationaux en méditerranée: la frontière», 2004, Université Toulouse.

- Gabriel Sommet, Récits de l'histoire d'Espagne depuis les temps anciens jusqu'à nos jours, éd. Ducroco, Paris 1865.

- Gonzales Antonio, Guerre diplomatie et droit de la guerre dans la péninsule Ibérique au II siècle av. j-c, In : D.H.A, vol. 33 n° 01, 2007.

- Gsell S., la ville Ibérique de Numance, In : journal des savants, juillet 1931.

- L'Abbé Théod Perrin, Histoire d'Espagne, éd. Société reproductive des bons livres, Paris 1838.

- Leon Homo, Nouvelle Histoire Romaine, éd. Libraire Artémie Fayard, Paris 1945.

- Lucien Renard, Histoire d'Espagne, éd. Furne Libraire, Paris 1855.

- M de Boissi.

- M. L. G., précis de l'histoire d'Espagne depuis les temps les plus reculés jusqu'à commencement de la révolution actuelle, tome I, éd. Fanjat Ainé, Paris 1823.

- Marie José Pena, Conquête et colonisation dans la péninsule Ibérique pendant le IIe siècle av. j-c, In : De la terre au ciel, paysage et cadastres antique, stage international Besançon 29-31 mars 1993, Université de France.
- Maurice Fontane, Histoire Universelle Rome de 74 a 63 av. j-c, éd. Alphonse Lemerre, Paris 1910.
- Maurice, Legendre.
- Mommsen Théodor, Histoire Romaine, tome III, trad. Par De Guerle, éd. C. Marpon et E. Flammarion, Paris 1882.
- Mousset A, Histoire d'Espagne, éd. Société d'éditions Françaises et internationales, Paris 1947.
- Paris Piere, Promenades archéologique en Espagne –Numance-, in : B-H, tome 11, n° 03, 1909.
- Paris Piere.
- Plutarque, Les Vie des homme illustres (Sertorius), II, trad. Ricard, éd. Didier, Paris 1844.
- Russie.
- Simont J.F, Résumé de l'histoire d'Espagne, éd. A. Leroux, Paris, 1823.
- Tite-Live, Histoire Romaine, XXXIV, 8, Trad. Par Annete Flobert, éd. Flamarion, Paris 1997.
- Valleius Patercullus, Histoire Romaine, II, I, trad. Par Pierre Hainsselin et Henri Watalet, éd. Garnier, Paris.
- Victor Du Hamel, Histoire d'Espagne, éd. Tours, Paris, 1855.